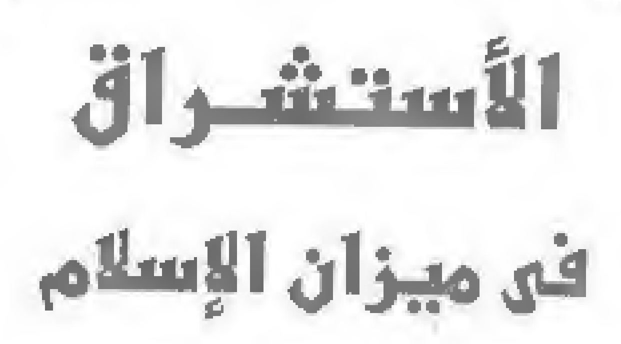

الأستشراق في ميزان الإسلام

د / أحمد عبد الهادي شاهين

مدرس بقسم الدعوة

بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:(ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم فى لحن القول والله يعلم أعمالكم)

صدق الله العظيم. سورة محمد الآية (٣٠).

مقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد،،،

فإن دراسة أية قضية دراسة عملية تحتاج إلى موضوعية وإنصاف، فيبتعد الباحث عن التأثير العاطفى، والتحامل والتجريح، من أجل الوصول إلى الحق والصواب، الذى هو هدف الباحث وغايته.

وموضوع الدراسات الاستشراقية يقع فيه بعض الدارسين بين مؤيد ومعارض، بين من يقبل كل ما جاء من الغرب من دراسات وجهود وفكر ، وبين من يغلق الباب فى وجه ذلك كله ، ويرفض الحديث مع المستشرقين ، أو التحاور معهم.

وأقول: إن الدراسات الاستشراقية فى ميزان الإسلام لها وعليها، فالمستشرقون ليسوا على درجة واحدة، فمنهم المقتصد، ومنهم المتغالى، وجهودهم فيها ما يحمد وما يذم، وما يحب وما يكره، والإنصاف أدب إسلامي أشار إليه القرآن الكريم فى قوله تعالى :﴿ولا يجرمنكم شنئان قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾[1]

وينبغى أن نفرق بين الفكر والجهود، فالجهود تقبل وتراجع، والفكر يمحص ويوضع تحت المجهر ، وللأسف الشديد فإن أغلب فكر

---

(١) سورة المائدة الآية (٨).

المستشرقين فيه خداع وتضليل ،وفيه نزعات عدائية وعدوانية، تسيل أقلام المغرضين منهم بمداد أسود، يغترف عما في قلوبهم من حقد وحسد؛ لتشويه الصفحات المشرقة من تاريخ الإسلام ، وفتوحاته وحضارته.

وقليل منهم من يلتزم بالتجرد والنزاهة ، والبعد عن التحامل، وغالباً هذا الصنف ينتهي المطاف به، ويرسي قواعده في اعتناق الإسلام والدخول فيه، ثم يقوم بدوره الفعال في كشف المخططات الغربية التي تستهدف الإسلام والمسلمين، عقيدة وشريعة ديناً ودولة.

والدراسات الاستشراقية هي صورة من صور الغزو الفكري ، الذي يستهدف أعز وأغلى ما في الإنسان المسلم من قلب وعقل ، أما القلب فهو محل العقيدة والإيمان، وأما العقل فهو وعاء العلم والفكر، فهم يريدون مسلمين بلا إسلام ، ويريدون إسلاما بلا عقيدة ، ويريدون عقيدة بلا جهاد.

ويتلخص هدف الاستشراق من خلال أبحاثه ودراساته في:
أ- يعمل على معرفة استكشاف مواطن القوى عند المسلمين ، ليعمل على ضربها وإضعافها ، وإصابتها في مقتل ، لا تقوم بعدها للمسلمين قائمة ، أو التشكيك في أصول الإسلام وقيمه ومبادئه وأخلاقه ، أو النيل من تعاليمه وآدابه ، فإضعاف أثر الإسلام في نفوس المسلمين للاستيلاء على خيراتهم هو نهاية آمالهم ، ومنتهى غاياتهم.

وثمة دور آخر يقوم به الاستشراق، ألا وهو خدمة الاستعمار والتنصير ، وذلك عن طريق البحوث التي تعطي المستعمر والمنصر

معلومات واسعة عن البلاد القادم إليها ؛ فيصبح الطريق أمامه سهلاً ممهداً ، فيحتل البلاد ، ويقهر العباد ، ولا يستطيع أحد أن يقف له بالمرصاد.

وإذا كان الاستشراق لون من ألوان الغزو الفكري ، البديل عن الغزو العسكري - بعد فشلهم فيه - فهم يستخدمون جميع الحيل والوسائل غير المشروعة المتاحة لديهم ، يلبسون الحق بالباطل ، والمعروف بالمنكر، فالغاية عندهم تبرر الوسيلة ، وكل زمان له أساليبه ووسائله التي تتفق فى النهاية مع أهدافهم وغايتهم ، قال تعالى: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾[1]. والغرض من ذلك كله ، إنما هو صد المسلمين عن دينهم ، أو تشكيكهم فيه، قال تعالى: ﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا﴾[2]. فالحرب من جهتهم متجددة ومستمرة وقائمة حتى قيام الساعة.

إن المعركة بيننا وبينهم بالغة الصعوبة ؛ لأن الاستشراق يستهدف تشكيك الأمة فى كتابها ، وتراثها ، وتاريخها، وعدم قدرة الأجيال المعاصرة على الوصول إلى ما وصل إليه السلف من فتوحات وتمكين، وتقدم فى مختلف الحياة ، فتترك لهم الساحة دون منافسة أو نزال ، ويصبح الغرب هو الفارس الأوحد فى الميدان من غير أن ينازعه أحد من الناس .

ومن ثم كان الاستشراق يحتاج لمن يتصدى له ، ليهتك ستره، ويبين عورة ، ويوضح عرجه ، ويكشف عن نواياه ، فأهدافه فى مجموعها غير نبيلة ، ووسائله غير شريفة ، ومقاصده غير حميدة .

---

(١) سورة البقرة الآية (١٢٠).

(٢) سورة البقرة الآية (٢١٧).

وتأتي هذه الدراسة بمثابة مدخل للتعرف على الدراسات الاستشراقية والمستشرقين، ووضعهم في ميزان الإسلام ، من أجل أن نتصدى لمعاول الهدم ، ونكثف عوامل الإصلاح والبناء ، ومن أجل توعية القارئ المسلم على وجه العموم ، والدارسين للعلوم الشرعية في جامعة الأزهر المعمور على وجه الخصوص. ﴿إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾(١).

وتتكون هذه الدراسة من تسعة مباحث.

المبحث الأول: تعريف الاستشراق ونشأته وتطوره.

المبحث الثاني: دوافع المستشرقين

المبحث الثالث: أهداف المستشرقين.

المبحث الرابع: وسائل المستشرقين.

المبحث الخامس: منهج المستشرقين في دراسة العلوم الإسلامية.

المبحث السادس: تصنيف المستشرقين واتجاهاتهم

المبحث السابع: علاقة الاستشراق بالاستعمار والتنصير الصهيونية.

المبحث الثامن: آثار الاستشراق في المجتمعات الإسلامية.

المبحث التاسع: موقف المسلمين من الاستشراق.

*****

---

(١) سورة هود الآية (٨٨).

المبحث الأول

تعريف الاستشراق ونشأته وتطوره.

تعريف كلمة الاستشراق فى اللغـــة:

لم ترد هذه الكلمة في المعاجم اللغوية القديمة ، لأنــها مــن الألفـاظ المستحدثة وإن كان معناها قديم ، فهى قديمة المعنـــى حديثـة المبنـى.

وقد ورد أصل هــذه الكلمــة مــن الناحيــة اللغويــة فــى بعـض المعاجم الحديثة ، مثل المعجم الوسيط ، ومتـــن اللغـــة:

فكلمة الاستشراق مأخوذة من الفعل الثلاثـــى (شـرق) جـاء فـى المعجم الوسيط عن معنى كلمة (شـــرق) : (اتجـه نحـو الشـرق. فيقـال (شرق) أى أخذ فى ناحية المشـرق ، والمشـرق جهـة شـروق الشـمس. ومعنى شجرة شرقية: أى تطلع عليها الشمس مــن شـروقها إلـى نصـف النهار)[1]

والخلاصة: أن كلمة الاستشراق فـــى اللغــة العربيــة مشـتقة مـن الفعل الثلاثى (شرق) ثم زيد على الفعـــل الـهمزة والسين والتـاء ليفيـد الطلب فيكون معناها: الاتجـــاه نحـو الشـرق ؛ وذلـك لدراسـة علومـه وآدابه.

(١) انظر المعجم الوسيط ١/٤٩٦ ط/ مجمع اللغة العربية ط/ الثالثة سنة ١٤٠٥هـــ – سنة ١٩٨٥م.

وقد جاء هذا المعنى فى معجم متن اللغة حيث يقول مؤلفه: (استشرق: طلب علوم الشرق ومؤلفاتهم ، يقال لمن يعنى بذلك من علماء الفرنجة)(١).

وعلى ذلك فكل من قام من الغرب بدراسة علوم الشرق المختلفة يطلق عليه مستشرق.

*****

تعريف كلمة الاستشراق فى الاصطلاح:

عُرِّف الاستشراق فى الاصطلاح بتعريفات كثيرة ، اختلفت فى ألفاظها وأسلوبها إلا أنها تتفق فى مضمونها ومعانيها ، وبعض هذه التعريفات يفيد التعميم، وبعضها يفيد التخصيص، وهى فى جملتها لا تتعدى هذا التعريف الذى يذكره د/ محمود زقزوق ، وهو من المعنيين بدراسة الاستشراق فيقول الاستشراق: (يعنى الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي ، فى لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام)(٢)

وجاء فى الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة ما يوافق هذا التعريف السابق ويؤكده، فقد جاء فيها عن الاستشراق:

(هو ذلك التيار الفكرى الذى تمثل فى الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي والتى شملت حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته،

---

(١) معجم متن اللغة لأحمد رضا. ٢١١/٣ ط/ بيروت سنة ١٩٨٥م.

(٢)الاستشراق د/ محمود حمدى زقزوق صـ١٨ ط/ دار المعارف سنة ١٩٩٧م

ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن العالم الإسلامي، معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما)[1]

ومن هذا التيار الفكري وخاصة من المستشرقين القدماء هم الذين صنعوا ورسخوا التصورات الغربية الخاطئة عن الإسلام، فكتاباتهم تعد هي المحور الأول التي انطلقت منه الأفكار الغربية المتحاملة على الإسلام الآن، والتي لا زالت مسلمات عندهم يتوارثونها جيلا بعد جيل.

ومما سبق يتبين أن **الاستشراق: نشاط وجهد علمي**؛ يقوم به بعض علماء الغرب، لدراسة أحوال الشرق في الدين والفكر والآداب والحضارة وغير ذلك تحت دوافع وأهداف معينة.

وأما كلمة **مستشرق** فهي كلمة تطلق على (كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله أقصاه ووسطه وأدناه في لغاته وآدابه وحضارته وأديانه)[2] يقول مالك بن نبي (نعني بالمستشرقين الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية)[3]

ونستفيد أيضاً من تعريف كلمة **مستشرق**: أن المستشرقين ليسوا من بلدة واحدة، بل هم من دول وقارات متعددة، وأصحاب ديانات مختلفة، قد تكون يهودية أو نصرانية أو شيوعية أو غير ذلك.

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة صـ ٣٣ الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض سنة ١٤٠٩هـ

(٢) الاستشراق د/ محمود حمدي زقزوق صـ

(٣) إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مالك بن نبي صـ ٧ ط/ مكتبة عمار بالقاهرة سنة ١٩٧٠هـ.

وفي الغالب أن دراساتهم حول الإسلام دراسات موجهة ، لها أهداف وغايات محددة ، بقصد الهيمنة على الشرق ، وجعله تابعا للغرب في كل شيء ، من أجل الاستيلاء على خيراته ، وتغيير معتقداته.

*****

نشأة الاستشراق وتاريخه:

هناك خلاف بين الباحثين حول تحديد البداية الحقيقية للاستشراق، خاصة أن الدراسات الاستشراقية كانت متنوعة ، منها ما هو منظم عن طريق الدول والمؤسسات والحكام ، ومنها ما هو فردي عن طريق الأفراد والأشخاص ، ومن ثم اختلفت رؤى الباحثين في تحديد نشأة الاستشراق وبدايته على وجه التقريب من أجل الوصول إلى فترة زمنية محددة تكون هي بداية الدراسات الاستشراقية ، ويمكن حصر نشأة الاستشراق في عدة نقاط أجملها فيما يأتي:

١- يكاد يكون هناك اتفاق بين الباحثين على أن المسلمين الأوائل في نهاية القرن الأول الهجري حينما فتحوا الأندلس ، ونشروا الإسلام الذي كانت في عقر دارها ، ووضع المسلمون نهضة علمية وثقافية في مختلف العلوم ، حينئذ قصد الرهبان من النصارى الأندلس لدراسة هذه العلوم ، وحينما عادوا إلى بلادهم قاموا بنشرها بين قومهم ، ومن ثم تعد هذه الدراسات هي البداية الأولية للدراسات الاستشراقية(١).

---

(١) انظر الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم د/ مصطفى السباعي صـ ١٣ ، ١٤ ط/المكتب الإسلامي الثالثة سنة ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م

ولم يكن الدافع من الاهتمام هو نقل العلوم والثقافة العربية إلى بلادهم ، وإنما أرادوا أن يعرفوا طبيعة هذا الدين الجديد الفاتح بلادهم، وطبيعة العقول والرجال الذين يحملون هذا الدين ، ومعرفة أسباب تفوقهم وانتصاراتهم ، بالإضافة إلى الوقوف على بعض العادات والتقاليد والآداب والصفات الخاصة بالمسلمين الفاتحين.

ويستفاد من ذلك أن الدراسات الاستشراقية قامت بدايتها على أيدي وسواعد الرهبان ، ورجال الدين من النصارى ، فهم كانوا طلائعه ، كما أنهم كانوا نشطين في تشويه صورة الإسلام ومعالمه عند أتباع دينهم ؛ حتى يوقفوا هذا الزحف الإسلامي القادم إلى بلادهم

يقول د/ محمود حمدي زقزوق وليس هناك شك في أن الانتشار السريع للإسلام في المشرق والمغرب قد دفع أنصار رجال اللاهوت المسيحي إلى هذا الدين ، ومن هنا بدأ اهتمامهم بالإسلام ودراسته، ومن بين العلماء المسيحيين الذين أظهروا في وقت مبكر اهتمامًا بدراسته الإسلام لا من أجل اعتناقه وإنما من أجل حماية إخوانهم في الدين منه - كان العالم المسيحي (يوحنا الدمشقي) (٦٧٦م ٧٤٩م) ومن بين مصنفاته في هذا الصدد لإخوانه في الدين كتاب (محاورة مع مسلم) وكتاب (إرشادات النصارى في جدل المسلمين)(١)

(١) الاستشراق د/ محمود حمدي زقزوق صـ ١٨، ١٩

٢ -ويرى صاحب كتاب (المستشرقون) أن بداية الاستشراق ترجع إلى القرن العاشر الميلادي، وقام في كتابه بذكر طلائع المستشرقين ابتداء من هذا التاريخ حتى القرن العشرين الميلادي (١).

ويذكر د/ مصطفى السباعي أن (من أوائل الرهبان الراهب الفرنسي (جربرت) الذي انتخب بابا لكنيسة روما عام (٩٩٩) بعد تعلمه في معاهد الأندلس وعودته إلى بلاده، ومنهم الراهب(بطرس المحترم ١٠٩٢-١١٥٦) ومنهم الراهب (جيراردي كريمون ١١١٤-١١٨٧)(٢)

٣ -(وبعض الباحثين يذهب إلى القول بأن البدايات الأولى للاستشراق ترجع إلى مطلع القرن الحادي عشر الميلادي

٤ -بينما يرى (رودي بارت) أن بدايات الدراسات الإسلامية والعربية في أوروبا تعود إلى القرن الثاني عشر الذي تمت لأول مرة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية كما ظهر في القرن نفسه أول قاموس لاتيني عربي.

٥ -وبعض الباحثين يشير إلى أن الغرب يؤرخ لبدء وجود الاستشراق الرسمي بصدور قرار مجمع (فينا) الكنسي في عام سنة ١٣١٢م بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات

---

(١) المستشرقون نجيب العقيقي صـ ١/ ط/ دار المعارف ط الرابعة
(٢) الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم د. مصطفى السباعي صـ ١٤

الأوربية ، ولكن الإشارة هنا إلى الاستشراق الرسمي بنص على أنه كان هناك استشراق غير رسمي قبل هذا التاريخ)[1]

ويمكن القول مما سبق ، أن الاستشراق قد نشأ في وقت مبكر جداً، بعد ظهور الإسلام وفتوحاته الواسعة، في نهاية القرن الأول الهجري ، وفي منشأة قد بدأ بداية سلمية دفاعية حيث قام الرهبان بدراسة العلوم الإسلامية والعربية في الأندلس ، ثم تطور بعد الحروب الصليبية واتجه اتجاهاً عدوانيا هجوميا كنوع من الصراع بين العالم الغربي النصراني والعالم الشرقي المسلم

*****

تطور الدراسات الاستشراقية:

تبين مما سبق أن الرهبان ورجال الدين النصراني تتلمذوا على يد علماء المسلمين في الأندلس ، في مختلف العلوم والفنون، وقاموا بترجمة هذه العلوم إلى لغاتهم ، ونقلوا أمهات الكتب العربية إلى بلادهم، وقاموا بترجمة معاني القرآن الكريم، ووضع قاموس لاتيني عربي

وحينما قامت الحروب الصليبية دفعت العقول الغربية إلى التعصب للأوربيين، وإرساء روح العداء تجاه الإسلام والمسلمين، وقد دفعتهم هذه الروح لمحاولة التفوق على المسلمين فكريا وحضاريا

---

(١) الاستشراق د. محمود حمدي زقزوق صـ ١٩، ١٨

فقاموا بإنشاء المدارس والمعاهد ومراكز التعليم والجمعيات للدراسات الشرقية، فتعلموا فيها اللغة العربية وأدبها ، وقاموا بترجمة كتب المسلمين في مختلف العلوم والفنون إلى اللغات الأوربية ، وكان ذلك سببا في نهضة أوربا بعد فشل الحروب الصليبية ، وكانت هذه الدراسات موجهة بالحقد على الإسلام والنيل من تعاليمه ، واستخدم العنف والقسوة والإرهاب ضد المسلمين ؛ من أجل حملهم على التنصير، وقد ظهرت في هذه المرحلة محاكم التفتيش.

وحينما خرج المسلمون من الأندلس وجاء الفتح العثماني ليواجه دول أوربا ، فأسقط الدولة البيزنطية ، ثم جاءت الهجمة الاستعمارية على الدولة العثمانية في ضعفها ؛ بسبب اهتمامها بالعلوم الشرعية دون العلوم التطبيقية ، فأحست الدولة بالخطر القائم عليها وقامت بالتصدي له إلى أن تغلب عليها بعد مرحلة شد وجذب ، عبر فترة طويلة من الزمن. .

وفي مطلع القرن الثامن عشر الميلادي اتسعت دائرة الدراسات الاستشراقية ، ونبغ عدد من المستشرقين في جامعات أوربا ، وقاموا بإصدار المجلات ، وعقد المؤتمرات؛ لتبادل الأبحاث والخبرات، وكانت نتائج دراساتهم وأبحاثهم هي الركيزة التي مهدت الطريق أمام المستعمرين والمنصرين الذين احتلوا بلاد المسلمين.

وفي العصر الحديث تطورت وسائل المستشرقين من الهجوم المباشر إلى الهجوم الخفي ، واستحدثوا أساليب جديدة بما يتناسب مع طبيعة المرحلة، حتى وصلت الحركة الاستشراقية إلى أوجها في نهاية القرن التاسع عشر ، فظهرت مؤلفاتهم التي تضج بالطعن في الإسلام،

وأعدوا تلامذة من المسلمين العرب يقومون بتغريب المسلمين، وتبعية ولائهم لأوروبا وأمريكا، وقد نجح المستشرقون في ذلك نجاحاً ملحوظاً، والواقع المشاهد خير دليل على ذلك، فرأيت آثار المستشرقين ومدارسهم في الجوانب الاجتماعية والسياسية والتعليمية والإعلامية وفي كل مجال من مجالات الحياة المعاصرة.

تلك كانت لمحة مختصرة عن نشأة الاستشراق وتاريخه وتطوره، إلى أن وصل إلى المرحلة التي هو عليها الآن، فما هي الدوافع الحقيقية التي تقف وراء الدراسات الاستشراقية؟

هذا ما سيتضح من خلال الصفحات القادمة إن شاء الله تعالى.

*****

المبحث الثاني

دوافع المستشرقين

لم يكن الدافع وراء الدراسات الاستشراقية دافع البحث العلمي المجرد النزيه كما يتظاهرون بذلك - وإنما كانت هناك عدة دوافع متعددة ومتنوعة ، تقف جميعها خلف الدراسات الاستشراقية قديماً وحديثاً ، وتهدف في النهاية إلى إضعاف الإسلام في نفوس المسلمين، والاستيلاء على خيراتهم ، وجعل العالم العربي الإسلامي تابعاً للعالم الغربي النصراني ، ويمكن إجمال هذه الدوافع فيما يأتي

١- الدافع الديني. ٢- الدافع العلمي.

٣- الدافع السياسي ٤- الدافع الاقتصادي

٥- الدافع الاستعماري.

أولاً: الدافع الديني:

من خلال دراسة نشأة الاستشراق وتطوره يتبين أن الدافع الديني هو الأساس في ذلك ، فلقد حاول رجال الدين النصراني الوقوف أمام زحف الإسلام القادم إليهم في بلادهم فقرروا عدة أمور :-

١- مواجهة هذا الدين عن طريق دراسته أولا ، ثم البحث عن نقاط الضعف فيه ، لإبرازها وتضخيمها وإثارة الشبهات حولها، خاصة حول الرسول ﷺ وتشريعات الإسلام في العبادات والمعاملات

٢ - اتهام الإسلام بأنه ليس دين سماوي جديد فجميع تعاليمه مأخوذة من اليهودية والنصرانية ، ومن ثم فلا حاجة إليه

٣ - محاولة حجب حقائق الإسلام وتعاليمه السمحة عن أبنائهم من النصارى، وذلك بتشويه تعاليمه ، والافتراء عليه كذباً وبهتاناً ومن ثم لا يدخل نصراني في هذا الدين لأنهم وضعوا أسواراً عالية تحول بين أبنائهم وتعاليم الإسلام [1].

يقول د/ محمد خليفة حسن (فصورة الإسلام خارج العالم الإسلامي يتم تشويهها ، وتقديمها في صورة مزيفة غير حقيقية بواسطة الاستشراق ، وهي صورة تعطي انطباعاً سلبياً للإسلام كدين وحضارة في ذهن الإنسان الذي تلقى معرفته عن الإسلام من خلال المستشرقين الذي يمثلون المصدر المعرفي الأساسي للمعلومات الخاصة بالإسلام وبالمجتمعات الإسلامية)[2]

ويقصد المستشرقون من وراء تشويه صورة الإسلام في الغرب ، وإظهاره بصورة خاطئة ، وتقديم صورة بعيدة كل البعد عن الإسلام ، أن لا يتعرف الغرب عليه معرفة حقيقية وصحيحة فينتشر بينهم هذا الدين ، ويدخل أبناؤهم فيه.

٤ - حاول المستشرقون لنشر رقعة النصرانية على مساحة الكرة الأرضية ، فكرثوا جهودهم للتبشير في كل مكان ، ومن أجل نجاح هذا الهدف لابد من الدراسات الاستشراقية التي تمهد الطريق

(١) انظر الاستشراق د/ محمود زقزوق صـ٧٥

(٢) آثار الفكر الاستشراقي د/ محمد خليفة حسن صـ ١٩ ط عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ط/ الأولى سنة ١٩٩٧م.

أمام التنصير بدراسة طبائع الشعوب، وكثافة السكان، واستغلال الفقر، والجهل والمرض، ومعرفة عادات الشعوب وتقاليدها، ولا يتم ذلك كله إلا بدراسة الشرق الإسلامي، علومه وأدبه إلى آخره.

ونستخلص من ذلك أن الدافع الديني هو المحور الأساسي الذي تسبب في وجود الاستشراق، فهو صورة جديدة من صور الصراع بين الحق والباطل، بين ما بقي من اليهودية والنصرانية من عقائد وتعاليم، بعدت عن صورتها الأولى المنزلة على موسى وعيسى عليهم السلام - وبين هذه الرسالة الربانية الشاملة التي نزلت على خاتم المرسلين ﷺ، أو هو صراع بين الغرب النصراني والشرق الإسلامي، ولا يستطيع أي باحث أو دارس للاستشراق ودوافعه، أن ينكر أن الدافع الديني والعقدي هو الأساس والمنطلق الرئيسي للدراسات الاستشراقية.

•••••

الدافع العلمي:

تتفاوت درجات المستشرقين في الإقبال على دراسة العلوم الشرقية، فمنهم نفر قليل تدفعه الرغبة في حب الاطلاع على حضارة الشرق، وثقافاته المختلفة والواسعة، للاستفادة من مردودها، ونقل هذه الخبرة إلى بني قومه، وهذا الصنف من المستشرقين تكاد تكون أبحاثهم أقرب إلى الصواب وإلى المنهج العلمي الصحيح، لاسيما حينما يتوافر الإنفاق المادي على مشروعاته وأبحاثه ودراساته العلمية، هذا الصنف أيضاً من المستشرقين نقل أخطاءهم

واستنتاجاتهم بسبب جهلهم بروح اللغة العربية وطبيعة الأعراف التي تغلب على البلاد العربية، وتختلف عن البلاد الغربية.

بيد أن هذا الصنف من المستشرقين غالبًا ما يجدون صعوبات كثيرة في طريقهم، فيدفعون ثمن الإنصاف غاليًا، إذ إنهم عرضة للتجاهل الإعلامي، وتوجه إليهم الاتهامات بالسعي وراء عواطفهم في مجاملة المسلمين للتقرب إليهم.

وقد ظهر هذا جليًا في السنوات الأخيرة حينما وجه المستشرق رجاء جارودي عدة اتهامات بعد صدور كتابه الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية فحوكم ودفع الثمن غاليًا، حكم بالسجن وغرامة مالية كبيرة.

ومن الجدير بالذكر أن حجم البحث العلمي المتجرد عن الإسلام قليل جدًا، أو يكاد يكون نادرًا، أما الغالبية العظمى من المستشرقين فلم يلتزموا بالموضوعية والإنصاف، وإنما غلب عليهم التعصب والهوى، والمكر والتحريف، فجاءت مؤلفاتهم تطفح بالطعن في مبادئ الإسلام وقيمه، وعقيدته وشريعته. وأسماء هؤلاء كثيرة، ومؤلفاتهم عديدة، فالدافع العلمي كان موجهًا للنيل من الإسلام وتشويه صورته، أي لخدمة الدافع الديني.

*****

الدافع الاقتصادي:

لقد حبى الله – سبحانه وتعالى – العالم العربي بخيرات كثيرة لا تحصى، ففيه الثروات الطبيعية من الماء والمعادن والبترول

، المواد الخام ، والموقع الجغرافي المتميز ، والأيدي البشرية العاملة كل هذه الثروات وغيرها جعلت العالم العربي مطمعاً لكثير من الدول الغربية فهو - أي العالم العربي - بالنسبة لهم مصدر للمواد الخام الرخيصة، كما أنه سوق للتوزيع والاستهلاك .

ومن هنا دعم الغربيون الدراسات الاستشراقية ، لدراسة جغرافية العالم الإسلامي ، وتوزيع المعادن في باطن الأرض ، وطرق المواصلات التي تربط بين الشرق والغرب ، وأنفقوا على هذه الدراسات أموالاً طائلة لأنها في النهاية تخدم الدول الغربية في بسط نفوذها الاقتصادي على العالم العربي .

*****

الدافع الاستعماري:

حينما فشلت الحروب الصليبية في سيطرتها على الشرق الإسلامي عسكرياً ، اتجهوا إلى لون آخر من ألوان الغزو - وهو الغزو الفكري - ليمهد الطريق إلى الاحتلال دون مقاومة ، فكانت الدراسات الاستشراقية التي درست كل ما يتعلق بالعالم الإسلامي من علوم وثقافات ، وتاريخ ودين ، واستطاعوا من خلال نتائج هذه الدراسة أن يضعفوا روح المقاومة في نفوس المسلمين ، إلى أن سيطروا على العالم العربي كله ، ما عدا شبه الجزيرة العربية .

ولم يصل الغرب إلى ذلك كله إلا بعد تكريس طائفة من المستشرقين ، أغدقوا عليهم الأموال ، وجندوهم لخدمة أطماعه ومآربه ، والوصول إلى غايته وقد نقل د/ زقزوق عن بعض المستشرقين ما :

يؤيد ذلك قول المستشرق الألماني أوليسريت هارمان (كانت الدراسات الألمانية حول العالم الإسلامي قبل عام ١٩١٩م أقل براءة وصفاء نية فقد كان (كارل هينريش بيكر) وهو من كبار مستشرقينا منغمساً في النشاطات السياسية حتى إنه أصبح في عام ١٩١٤م شديد الحماس لمخطط استخدام الإسلام في أفريقيا)[(١)].

*****

الدافع السياسي:

لقد رزحت الدول العربية فترة طويلة تحت الاحتلال الغربي المشئوم، وقد استهدف من الأمة الإسلامية عقيدتها ولسانها، وبعد أن استطاع أن ينشئ طبقة بديلة من أبناء البلاد الأصلية، ترك لهم البلاد، وسلم لهم الأمور شريطة أن تسير وفق هواه.

ومن الأمور الجديرة بالذكر (أن كل دولة عربية بها ملحق ثقافي لكل دولة من دول أوربا وأمريكا ، ويحاول ذلك الملحق أن يتصل برجال الفكر والصحافة والسياسة ويبث إليهم سياسة دولته، وهذا الملحق يجيد اللغة العربية، ودراسة نفسية المسئولين ، وكيف ينفذ إليها؟ ويدرس مواطن الضعف في سياستهم وبالتالي يسهل الطريق أمام الغرب لفرض سياساتهم الخارجية.

(١) الاستشراق د/ محمود حمدى زقزوق صـ٤٨.

بل إن جميع رؤساء الدول الغربية على صلة قوية بأساتذة الجامعات المعنيين بالدراسات الاستشراقية ، وذلك للرجوع إليهم، والاستفادة من آرائهم تجاه القرارات المتعلقة بالشرق الإسلامي)[1].

*****

(١) الاستشراق د/ محمود حمدى زقزوق صـ ٥٠ بتصرف.

المبحث الثالث

أهداف المستشرقين

إذا كانت الدراسات الاستشراقية قامت تحت دوافع متعددة ومختلفة كما سبق بيانها ، فإنها وضعت لها عدة أهداف من أجل تحقيقها، والوصول إليها، فنجاحهم في الدراسات الاستشراقية يتوقف على تحقيق هذه الأهداف ، أو جزء منها ، سواء على المدى البعيد أو القريب ، ومن بين هذه الأهداف ما يأتي:-

أ- النيل من تعاليم الإسلام، وإضعاف أثره في نفوس المسلمين.

حاول المستشرقون منذ فترات طويلة وبعد دراسات واسعة ومكثفة حول الإسلام وقيمه وأخلاقه ، أن يقفوا على مواطن القوة فيه، ثم يقوموا بتركيز سهامهم الضارية نحوه ؛ لإصابته ، فإن لم تقتله هذه السهام جرحته وأدمته.

وقد عملوا من أجل إنجاح هذا الهدف بنشر عدة تيارات فكرية هدامة في بلاد المسلمين ، وإيجاد تلاميذ لهم من المسلمين العرب؛ يحملون هذه الأفكار الهدامة ومن بينها:-

(الوجودية)[1]: وهي التي تؤمن بالموجود والمحسوس المشاهد فقط، مما يخضع للعقل ، ويشاهد بالعين ويلمس باليد ، فهذا هو الذي يجب الإيمان به ، وما لم يثبت بالمشاهدة فلا وجود له ، وبالتالي يؤدي هذا

---

(١) واضع هذه الفلسفة هو سارتر، وهو من أم يهودية، وله ميول وتعاطف مع الصهيونية، وفلسفته تقوم على الإلحاد والإباحية، والتحرر من الدين والقيم والأخلاق.

التيار الفكري إلى إنكار وجود الله - سبحانه وتعالى - بل إنكار جميع الأمور السمعية والغيبية المتعلقة باليوم الآخر، وما فيه من ثواب وعقاب، وميزان وصراط، وجنة ونار.

وهذا كله لون من الإلحاد، ومن عمل المستشرقين اليهود الذين سعوا إلى نشره وترويجه، يقول د/ عبد الستار فتح الله سعيد: (فاليهود أساتذة الإلحاد العالمي، ومعلموه، وناشروه، ودعاته وفلاسفته المبتكرون!!، واليهود الذين لقنوا الفكر المعاصر كل نظريات الإلحاد والإفساد، كفكرة تطور الأديان، وأنها اختراع بشرى، حتى قالوا إن الله - تعالى شأنه - فكرة اخترعها الإنسان، فالإنسان خالق الفكرة وليس مخلوقاً، بل قالوا في جرأة وقحة (إن الله مات) تعالى ربنا عما يقولون علواً كبيراً).[1]

لقد اخترع المستشرقون هذه الأفكار وأوجدوا أساتذة منهم يحملونها، ثم يقذفونها إلى تلامذتهم في بلاد المسلمين؛ ليعملوا على نشرها وبثها بين الطلاب المسلمين، في الجامعات والمعاهد والمدارس، فتهتز المعاني الإسلامية في نفوسهم، ويضعف أثر الإسلام في قلوبهم، ويصبحوا لديهم القابلية لتشكيل عقولهم، كما يريد المستشرقون لا كما يريد الإسلام.

الماسونية: وإذا كان اليهود يقفون وراء الوجودية الإلحادية فإنهم أيضاً هم الذين أسسوا وصنعوا الماسونية العالمية، فقد نشأت

(١) معركة الوجود بين القرآن والتلمود د/ عبد الستار فتح الله سعيد صـ١١٧. دار النشر والتوزيع الإسلامية ط/ السادسة سنة ١٤١٥.